عبد الكريم الماشطة
رائد التنوير في العراق

مراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6027) السنة الثالثة والعشرون
الخميس (13) تشرين الثاني 2025

السرديات التاريخ .. الشيخ الماشطة أنموذجاً

ناجح المعموري

ما زال الكثير من المواطنين في مدينة الحلة يتناقلون أفق تجربته الأن، وهذا يعني بأن تجربته ما زالت تعاش كمرويات حسب مفهوم سقراط ، وهذا يؤكد على حيوية الذاكرة ونشاط التذكر ، وهذا يظل إلى الأبد ولا بد من التحوط في ضياع سرديات الماضي. التي هي أفق التجربة كما قال بول ريكور ، هذا الماضي البعيد أو القريب هو مرآة للجماعة وكاشف عن الذاكرة / التاريخ ولا بد من العناية بالتذكر للحفاظ على الذاكرة المساهمة بصياغة الهوية الخاصة والممثلة لجماعة ما ، وأنا أتحفظ على رأي يان أسمان الذي قال بأن التاريخ هذا هو تاريخ ذاكرة ، وبعكس التاريخ بمعناه الدقيق لا يهتم تاريخ الذاكرة بالماضي بحد ذاته وإنما بالماضي المتذكر فقط. الذاكرة هي سجل الماضي ودائماً ما تكون متميزة في الماضي البعيد ، حيث يكون للتذكر فاعلية عالية . الماضي البعيد محفوظ بذاكرة الجماعة وهو جزء من شفاهياتها المستعادة باستمرار وخصوصاً بالمناسبات التي لها صلة مباشرة بذاك الماضي / أو الواقعة ، ومثل هذه الشفاهيات متمركزة ولن يقوى عليها الماضي . والتاريخ هو الذاكرة والمتذكر ، أنه ماضي الجماعة / الجماعات ، ولن يتوقف هذا التاريخ محدداً وإنما يظل متحركاً ، كلما اتسعت الجماعة وتكاثرت تحمل معها مرويات ما قبل ، لأنها لا تستطيع بمعزل عن مرويات السابق والذاكرة لها تاريخ تساهم بحفظ الوقائع وتحفيزها أثناء السرد قال يان أسمان ، فكل هذا تاريخ الذاكرة لا يقف ضد علوم التاريخ ،وإنما يشكل أحد فروعها ، مثل تاريخ الأفكار والتاريخ الاجتماعي وتاريخ العقلية والتاريخ اليومي المعتاد . علاقة الجماعة مع السلف تعيس على خصائص ذاكرة وهوية لا يمكن اندثارها ، لذا الجماعة تتداولها حفاظاً عليها ، ومن غير الممكن نسيان التاريخ المقترن بجماعة ما ، خصوصاً تلك المتميزة بالقوة وقد عاشت صراعاً متكرراً مع غيرها لإزاحة أحدهما للآخر. وحتماً ستتحول المرويات المتداولة إلى ضحية، عند غياب الأشخاص الذين ما زالوا أحياء وتمتعوا بقدرة على الاستذكار ، والنسيان دفن للماضي وكل مروياته ، وفي أحيان يكون النسيان جزئياً أو كلياً وفي كلا الحالتين الخسارة حاصلة ونسيان الشفاهيات شطب الماضي / التاريخ وأكثر ما نخشاه في هذا المجال هو ضعف التذكر ، وتآكل الحزام الاجتماعي للذاكرة المسئولة عن تحيين الماضي وجعله حاضراً يقظاً ، قادراً على الامتداد نحو المستقبل ، ونظراً لارتباط الذاكرة مع التذكر حسب مفاهيم أفلاطون ، علينا الانتباه لذلك والمحافظة على الذاكرة ، لا من خلال تنشيط التبادل أو التواصل ، بل بواسطة التدوين ، وستتحول الذاكرة / مروياتها إلى سرديات خاصة بالاجتماعي والتاريخي ، وحتماً ستكون هذه المرويات بعضاً حيوياً من الانطولوجية كما قال بول ريكور ، أي إنها مصدر مركزي في المعرفة وتساعد الإنسان على قراءة الذات والعالم .

التذكر والتداول الذي يجعله حياً باستمرار ، هو الذي يثبت الأثر كما قال بول ريكور في كتابه ((التاريخ ، الذاكرة ، النسيان)) والإبقاء على المروي وتحيينه ، وشحنه بإمكانية الحضور والامتداد نحو المستقبل ، فالماضي الايجابي هو المقترن بالكيفية المستقبلية وبالكيفية الحاضرة للحاضر كما قال هايدجر ، لأن هايدجر في انطولوجيته قد أكد على المستقبل وليس الماضي . وإذا أردنا توظيف مفهوم بول ريكور عن السرد فبالإمكان تأكيد ما قلناه عن المرويات الخاصة بالشيخ عبد الكريم الماشطة وضرورة إنجاز أفق التجربة / الماضي، حتى تتكون لدينا سرديات كاملة تمكن القارئ أو الدارس من تحقيق قراءة لأفق تجربته من خلال تفاصيل تلك الأفاق ، حكايات / أمثال / نكات / ...ألخ التي تشكل كماً مهماً مساعداً لقراءة هذه الشخصية وعلاقاته واختلافاته ، وكيف ؟ أي إن الصراعات هذه تمظهرات عن الخصائص المميزة لكل جماعة من الجماعات / أي هي تبدّيات لهويات خاصة ، ووجدت في رأي بأن أسمان مفهوماً اصطلاحياً حول شكل من أشكال الثقافة والتاريخ المضاد . حيث قال (أنا أعني بالتذكر المضاد هو التذكر الذي يضع عناصر التذكر المقموعة رسمياً في المقدمة . والمعروف إن الحادثة نفسها تتذكر من قبل الذاكرة الشخصية بطرق مختلفة تماماً / بأن أسمان / موسى المصري / حل لغز آثار الذاكرة / ت : حسام عباس الحيدري / دار الجمل / كولونيا / ٢٠٠٩ / ص٣١) .

دائماً ما تنشط الذاكرة في مجال التاريخ السياسي وتقدم عوناً مهماً في استحضار ما له علاقة بالموضوع الخاص . لكنني أجد بأن شخصية كبيرة مثل الشيخ عبد الكريم الماشطة تكونت خصائصه بين الدين / الاجتماع/ السياسي بإطاره العام ، وليس التخصيص ، لم يحظ باهتمام واضح ، هو وغيره من رجال النهضة والتنوير في مدينة الحلة وهناك أسماء لم تجد من يهتم بها ويسجل تاريخها التنوعي ، على الرغم من وجودها الطويل في مدينة الحلة ودورها البارز فيها ومن تلك الأسماء رؤوف بيوري وتوفيق فكرت . لا بد من استنهاض ذاكرة المدينة المعاصرة لهما ولغيرهم وحفظ ما هو جوهري في الحلة وحركتها الثقافية والاجتماعية والسياسية وهو الخطاب بتنوعاته التي قال بها ميشيل فوكو وأطلق عليها المفكر يان أسمان بالحوار ، لذا سجل دور الإغريق في جميع الفعاليات الحضارية المختلفة من خلال التذكر ، وهم لم يروا الحضارة على إنها مجرد استناد إلى الذاكرة ، وإنما هي الذاكرة بحد ذاتها / يان أسمان / ن . م / ص٤١ / وأضاف أسمان قائلاً : أنا أعني بالحوار تشابك النصوص التي ترتبط جميعاً بعضها ببعض ، وتبحث بنفس الوقت عن شيء مشترك ، فالحوار هو عبارة عن نوع من المحادثة النصية ، التي من الممكن أن تمتد عبر أجيال وقرون ، بل عبر آلاف السنين ، بحسب إمكانات ديمومتها الإنشائية على شكل كتابة وتقديس ومدرسة ، إن الحاضر هو نتاج للحاضر والماضي ، وجزء مهم منه مرتبط بأفق التجربة / أي الماضي / الذاكرة وكلاهما يصوغان الأفق المستقبلي . الماضي حاضر مهما حصل تكتم عليه ، لأنه كامن في الذاكرة ، وكلها تميز وقائع الماضي بقوتها وأهميتها فإنه حضور باق ، والعودة له عبر التذكر من قبل الجماعات ، يعني أولاً وأخيراً بأن الجماعة سجلت ذاكرتها هي ، ويؤدي المشاركون باستحضار الماضي تسجيل حياتهم من خلال السلف . أي إن الخلف تكفل بذاكرته من خلال الآباء والأجداد وبالضرورة تمييز دور الخلف بأنهم يؤدون دوراً من أجل حفظ تاريخهم هم .

دعوتي هذه الخاصة بتدوين المرويات المحفوظة بالذاكرة ، تهدف للعودة للماضي التنوعي ، حتى نستطيع معرفة المجال الحي لبعض الشخصيات التي كان لها دور مغاير ، بارز ومشهود له حتى هذه اللحظة ، ومثال ذلك الشيخ عبد الكريم الماشطة ، رؤوف جبوري ، يوسف كركوش ، أحمد سوسة ، طه باقر ، محمد باقر الحلي . وربما يتبادر سؤال لذهن القارئ حول سوسة وطه باقر وفحواه إنهما محفوظان بكتبهما . ولا وجود لشيء ضائع في حياتهما . هذا صحيح، ولكن لكل واحد منهما شفاهيات معروفة في حدود ضيقة ، والزمن يأكل الأفراد التي تعرف ذلك ، والضرورة ملحة من أجل الغائب من ذاكرة الحلة ، من خلال رموزها ومنهم أيضاً مهدي البصير / علي جواد الطاهر / عبد الجبار عباس .

أعتقد بأن مثل هذه المهمة صعبة ولكن دور الجامعة بإمكانه أن يحقق ما نحن نريد ، عبر تكليف الطلبة في الجامعة / الكليات الإنسانية للتوجه نحو هذه المهمة وعلينا قبول كل ما يتوفر أثناء الحفظ والجمع وإخضاع ذلك للدرس والتحليل . وعلى الجامعة أن تتعامل بروح إيجابية خاضعة للعلم وليس للأهواء والانتماءات الطائفية والسياسية ، هل يحصل هذا ؟ لا أعتقد ، لأن الجامعات حتى الآن لم تدخل عبر مناهجها الإنسانية التوصلات الفلسفية والفكرية الجديدة والمعنية بالسرد والتاريخ وصار لذلك علماء ، لعبوا دوراً بارزاً ومؤثراً في الثقافة والفكر وعلى سبيل تعامل بول ريكور مع التاريخ بوصفه وسيطاً في الانثربولوجيا الفلسفية ، وصار – التاريخ / السرد مصدراً من مصادر المعرفة ، وهو عامل أساسي في فلسفة ريكور وانطولوجيا الوجود والزمان ، حيث تحول التاريخ / السرد مكملاً لتلك الانطولوجيا التي اكتملت في فلسفة بول ريكور : الوجود والزمان والسرد . وفي رأي ريكور (إن هايدجر يخطئ حين يجرّد الوجود عن بعده الاجتماعي . لقد اكتفى هايدجر من الزمانية ببعد واحد هو تصورها وجوداً – نحو – الموت والحال إن الوجود الأصيل هو الوجود مع الآخرين وبهم ومن خلالهم ، عالم الآخرين الذين عاشوا ويعيشون وسيعيشون معنا على ظهر هذا الكوكب وينقلون تجاربهم لنا بواسطة السرد / ت وت : سعيد الغانمي / الوجود والزمان والسرد / فلسفة بول ريكور / المركز الثقافي العربي / بيروت / ١٩٩٩ / ص٢٩ / يضيء لنا هذا الرأي موقف هايدجر الذي يجرد الوجود من العلاقة مع الآخرين واكتفى هايدجر بالعلاقة الزمانية واعتبرها انطولوجيا خاصة بالموت . بينما وجد بول ريكور بأن الوجود الحقيقي هو الحياة المشتركة بين الناس ومعرفة الحياة والعالم لا تتم إلا من خلال الناس . وبهذا ينطوي رأي ريكور على مشتركات بين المواطنين ، الذين بالإمكان تسجيل حياتهم وتجاربهم ، ويتم ذلك من خلال المرويات ، وهذا ما حاولت إيضاحه حول المرويات التي ما زالت محفوظة بذاكرة سكان الحلة حول الشيخ عبد الكريم الماشطة وغيره من الشخصيات التي لعبت دوراً اجتماعياً وثقافياً وتنويرياً أيضاً . وتوثيق المرويات المتداولة الآن عن الشيخ الماشطة شكل من أشكال التعبير عن الوجود / الكينونة ، كينونة الفرد والجماعة .

الشيخ عبد الكريم الماشطة .. بين الصوفية والأممية وأنصار السلم

عباس البغدادي

. ولد الشيخ عبد الكريم رضا الماشطة عام ١٨٨١ في مدينة الحلة وتوفي في ٣ / ١١ / ١٩٥٩ وكانت له اهتمامات كثيرة موزعة بين الثقافة والدين والسياسة.

عالج الشيخ مسألة الاغتراب عند الصوفية. ومعناها عنده هو العجز والاستسلام وبأن قدر الانسان ليس خاضعاً لمشيئته، وغربة المتصوفة عنده هي غربة ثقافية واجتماعية وذاتية، ويصنفهم الى اصناف فمنهم الاشراقيون ومنهم اتباع الفقهاء ومنهم الدجالون وآخرون جهال، والتصوف عنده ظاهرة انسانية شملت غير المسلمين كما هي عند اليونيين والمسيحيين، ولا يخلوا عصرمن هؤلاء المتألهين، ومن الاشراقيين حسب تصنيف الشيخ الغزالي، وابن عربي فالاول عاش عصراً مضطرباً وعهده عهد صراع بين المتكلمين والفلاسفة والفقهاء، والغزالي في اول أمره وجه نقده الى الصوفية ثم انصرف لدراسة الفلسفة وكانت الثمرة (كتاب تهافت الفلاسفة)، ثم عاد ليسلك طريق التصوف ويعيش ازمة روحية سببها ادراكه لبطلان افكار يؤمن بها، فدخل العزلة والخلوة وارتاد طقوس الصوفية قاصداً الوصول الى التجليات الاشراقية، واطلق الماشطة كلمة الاشراقيين على من هو مثل الغزالي وهم اصحاب مكاشفات ومشاهدات، وتعرض الصوفية الى العنف والقتل كما حدث للسهروردي الذي قتل على يد (الظاهر غازي) بأمر من صلاح الدين الايوبي والده كان متهماً بإنحلال العقيدة فقتل مخنوقاً وتهمة الزندقة تلاحقه رغم كونه من العُباد الزهاد، وكُفِرَ ابن عربي واحرقت كتب الغزالي في المغرب ونُسبت اليه الضلالة وصدرت احكام بقتل من يحوي كتب الغزالي، وقد هاجم الامامية الصوفية وحرم المجلسي صاحب بحار الانوار كتبهم رغم ان والده كان صوفياً، وكانت تهمة الصوفية تعني الطعن بفكر من اعتنقها ويرى الماشطة ان الصوفي كغيره من الحكماء يعتقد بأن النفس البشرية تشعر باللذة والالم والسعادة والشقاوة، فالعين تلتذ بما تشاهد والمتذوق يلتذ بلسانه والاذن بالاصوات كذلك النفس تلتذ بإدراكها لحقائق الموجودات، ويعترض على انزال عقوبة القتل بالصوفية منطلقاً من حرية المعتقد والرأي، ودعا الشيخ الماشطة انه لا طريق لإكتساب المعارف سوى الطريقة الفكرية البحثية وما يرى من حصول التصديق ببعض القضايا التي لا تعرف المقدمات المنتجة لها عند التجرد وصفاء الذهن، ودعا الشيخ لأول مرة الى موضوع وهو المراد به الاستحسان اي ان المتوغل في الفقه قد يدرك بذوقه الفقهي الحاصل من كثرة الممارسة فيوجب الحدس بصحة ذلك الحكم، اما ما يقوله البعض عن الكشف المستقبلي عند الصوفية فينكره الماشطة ويعتبره افتراء من وضع الجهال.

الماشطة والاممية

دعا الماشطة الى ان العاطفة الانسانية هي البحر المحيط الذي تتفرع منه سائر البحار والخلجان والوطنية اذا اقترنت بمحبة المواطنين فهي قطرة من هذا البحر، ان غريزة حب النوع او ما يظهر نورها على اهل البلد ثم يشع ذلك النور بقدر القوة والقدرة على خدمة المجتمع الذي هو اوسع من تلك الدائرة الضيقة واما الذين لا يشتغلون بخدمة القريبين منهم مع التمكن من الخدمة ويتظاهرون بحب اهل البلدان الاخرى فهؤلاء اهل الامنيات الكاذبة، ان النزعة الوطنية عند الامم المغرقة بالوطنية لا بد ان تقترن بظلم غير ابناء الوطن والاستبداد بهم والاستيلاء على مرافقهم كما نشاهد ذلك من الدول الاستعمارية، واما النزعة الوطنية عند الامم المنحطة فلا بد ان تكون نتيجتها شراً على اهل الوطن واستبداد شرار الناس بخيارهم، ان محبي الانسانية دائبون في عملهم لا يفترون عن السعي لخدمة اخوانهم بقدر امكانهم وحيث ان اتحاد الدول وانضمام بعضها لبعض يقاومه اهل الانانية الذين يريدون العلو في الارض ولا يرضون بالمساواة مع غيرهم فلم يستطيعوا الوصول الى هذه الغاية في الوقت الحاضر وسيصلون اليها ان شاء الله في المستقبل، ويقول الماشطة: ان حب الانسانية يلزمه بغض اعدائها من اهل البغي والظلم سواء أكان الباغي اجنبياً ام مواطناً فالمواطن الذي يضطهد اهل وطنه تتحتم مقاومته كالاجنبي لأن الجهة التي من اجلها نحب المواطن هي شفقته على ابناء وطنه فإذا استبدل هذه الصفة بالقسوة والشدة استحق الذنب والعقاب والمطاردة، ان محب الانسانية كما يحب الخير لأبناء وطنه يحب ذلك لغيرهم ويحب ان يسود العدل والمساواة بين الناس فلا يظلم بعضهم بعضاً ولا يبغي بعضهم علي بعض. في طروحات الماشطة السابقة نراه وطنياً واممياً ولا يجد هناك اي تعارض بين المفهومين حسب رأيه.

الماشطة وانصار السلم

ولدت فكرة السلام التي احيها الماشطة مؤكدة دوره العالمي بدأ بيد مع جوليو كوري الرئيس الاقدم لمجلس السلم العالمي ومعه اراغون الشاعر الفرنسي الكبير وبيكاسو الرسام العالمي وكوزما الموسيقار الهنكاري بول ايلوار شاعر الحب والحرية ومدام كوتون رئيسة اتحاد النساء العالمي، ووجهت رسائل الى بعض الشخصيات الوطنية والدينية ومنهم عبد الكريم الماشطة والرسالة موقعة من جوليو كوري موضوعها يدور حول تحريم استعمال القنبلة الذرية (نداء استكهولم) مما اثار حفيظة السلطة العراقية فشنت حملة اعلامية وبوليسية ضد السلم وانصاره، ورد انصار السلم بحملة جمع تواقيع تأييداً لهذا النداء العالمي وشعروا بالحاجة الى قيام تنظيم للنشاط السلمي فكونوا لجنة تحضيرية عقدت اجتماعها الاول في مساء ١٥ تموز ١٩٥٤ م في منطقة ام العظام في بغداد وحضر ١٠٣ مندوبين وتوسط الاجتماع الرجل المهيب الشيخ عبد الكريم الماشطة واعلن افتتاح المؤتمر بصوته الدافئ الوقور والتقى المجتمعون في دار عبد الجليل برتو وتكلمت في الجلسة السيدة (ام غصوب) بإسم الامهات العراقيات وكان من الحضور عبد الله كوران من السليمانية، عبد اللطيف مطلب من الحلة اضافة الى عبد الحميد الوناواي، ابراهيم احمد، محمد زياد الاغا واسماعيل النجار، واسماعيل حقي شاويس، انعام العبايجي، طلعت الشيباني، فاروق برتو، نزيهة الدليمي، صفاء الحافظ، صلاح خالص وكمال عمر نظمي. وفي الختام القى الشيخ الوقور عبد الكريم الماشطة كلمة الختام التي اشار فيها الى وحدة الرأي بين الفصائل الوطنية وطالب بجعلها منطلقاً لجبهة وطنية خلال الانتخابات ونال تأييد احزاب الوطني الديمقراطي، الشيوعي، حزب الاستقلال ثم الحزب الديمقراطي الكردستاني، واستمرت نضالات مجلس السلم وكانت ممهدة لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م.

الشيخ عبد الكريم الماشطة .. شخصية وطنية مضيئة

مرت الذكرى السادسة والستون لرحيل الشيخ عبد الكريم الماشطة، الشخصية الوطنية المرموقة، عضو مجلس السلام العالمي.

وفي هذه المناسبة نعود الى شهادات مهمة لشخصيات وطنية واجتماعية، كانت قد القت وما زالت اضواء ساطعة على دور الشيخ الماشطة في الحركة الوطنية، ونضاله من اجل السلام والتقدم.

الثورة العراقية

قال عنه الشيخ يوسف كركوش، رجل السلم والشخصية الاجتماعية المعروفة:

. لما قامت الثورة الوطنية عام ١٩٢٠ وبعد تأسيس الحكم الأهلي، سعى الشيخ الماشطة إلى انشاء نادٍ أدبي، وقام بإلقاء المحاضرات تحت ستار أدبي، منددا بالاستعمار والرجعية. وكان متصرف الحلة (علي جودت الأيوبي) يتعاطف معه أو يتظاهر بالتعاطف مع النادي، إلا أن مشاوره الانكليزي دبر مكيدة إخفاء أسلحة في النادي بهدف الاساءة إلى الشيخ، سوى ان المكيدة فشلت بحكم الوعي العالي لشيخنا الماشطة والجماهير الشعبية الملتفة حوله.

تاريخ الحلة

ويضيف الشيخ كركوش قائلا:

. عندما قمت بطبع « تاريخ الحلة » في العهد العارفي، كانت السلطات قد هيأت رقيبا لقراءة الكتاب، وعندما وصل بالقراءة إلى ذكر النادي الأدبي طلب مني حذف اسم العلامة الماشطة من تاريخ الحلة، فقلت له:

. إن الأمانة تقتضي ان أسجل ما وقع في ذلك العهد.

فقال لي:

. اذا كنت تريد طبع كتابك فاحذف اسم عبد الكريم الماشطة .. وإلا لن يطبع!

وحيث لم يكن بد من ذلك قمت بحذف الاسم، منتظرا فرصة أخرى لإثبات ذلك، وقد حانت الفرصة على صفحات «طريق الشعب» (١٩٧٥).

ونتيجة لنشاطه حاولت الرجعية (الحاكمة والسائبة) مرارا اغتياله، لكن المحاولة لم تشكل عائقاً أمامه، حيث اكتشف طريقا لنشر الوعي فاصدر مجلة باسم «العدل»، وقد صدر منها العدد الأول والأخير، متضمنا نقداً لأقطاب العهد الملكي، فصادرت السلطات نسخه.

ومعلوم من جانب آخر أنه عندما كان الشيخ الماشطة يتوجه إلى بغداد أو النجف أو الى أية مدينة أخرى، كان يسبقه تلغون من أمن الحلة إلى المدينة التي يتوجه اليها ، لغرض مراقبته.

من موسكو إلى بغداد

وكان الشيخ كركوش قد تحدث عن رحيل الشيخ الماشطة يقول:

. سافر الماشطة إلى موسكو بعد مرض عضال، وبقي هناك مدة ثم رجع إلى العراق، حيث رقد في أحدى المستشفيات حتى توفي يوم ١٩٥٩/٩/٢.

وهز الشيخ كركوش يده مؤكدا:

ستظل جماهير الحلة تذكر موكب تشييعه الفخم. أما السيد عامر الصافي الشخصية الوطنية والتقدمية فيتحدث عن دور الشيخ الماشطة في النضال الوطني:

. أسهم الماشطة بنضال واسع ضد الفاشية، وكان له دور بارز ومتميز سنة ١٩٤٨ في حملة الاحتجاج الشعبي ضد معاهدة بورتسموث ومن اجل اسقاط حكومة صالح جبر العميلة، وقاد المظاهرات الجماهيرية التي اجتاحت الحلة، وألقى الخطب، كما ساهم الشاعر الكبير

الجواهري بحملة الاحتجاج الواسعة.

عضو في مجلس السلم العالمي

ويشير السيد الصافي. ضمن حديثه. إلى أن عام ١٩٥٤ شهد صراعات محتدمة، فيما تألفت لجان البرلمانية، فنطقت الجدران فخرا باسمه وببرنامجه، وبقيت شوارع محلة «المهدية» لسنوات تحمل شعارات» من يريد الأرض والعمل والثقافة والصحة فلينتخب الشيخ عبد الكريم الماشطة «. كذلك لا تنسى الجماهير دور الماشطة في جذبها نحو العمل الوطني، وتصعيد العداء ضد الاستعمار والنظام الملكي.

وكان السيد صالح الصافي يستذكر دوما قصصا عن شجاعة الشيخ الماشطة وصلابته، ولطالما كان يسردها متباهيا، ومنها ما رواه ذات مرة قائلا: تصدت الشرطة لمظاهرة ليلية قادها الشيخ الماشطة، وعندما دعاهم مدير الشرطة إلى التفرق، أجابه الشيخ الأبي بنبرة ساخرة وحازمة:

ولماذا تخاف من المظاهرات... اعتبرنا بزفة عرس!

واستمرت المسيرة الحاشدة إلى ان وصلت داره في الساعة التاسعة، حيث علم ان الشرطة اعتقلت اثنين من المتظاهرين، فتوجه على الفور إلى المتصرف (المحافظ) وطلب منه باسم القوى الوطنية والتقدمية إطلاق سراحهما. وكان له ما أراد.

كان الشيخ الماشطة يكن احتراما كبيرا للحزب الشيوعي، ويلتقي قادته ويستمع إلى مقترحاتهم ويعمل معهم جنبا إلى جنب من اجل رفع الوعي الوطني ومقاومة الاستعمار والرجعية.

الوسام الذهبي تقديرا وتكريما

في عام ١٩٥٩وبمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس حركة السلم في العالم منح مجلس السلم العالمي الشيخ عبد الكريم الماشطة وسامه الذهبي. وجاء في البيان الذي أصدره المجلس في هذا الخصوص:

«ان الشيخ الماشطة وضع كل وجاهته الاجتماعية في خدمة السلم العالمي».

وفي أربعينية الشيخ الجليل الراحل أبّنته شخصيات وطنية وعالمية كبيرة وكثيرة، وكتبت عنه الصحف ووسائل الإعلام العراقية الأخرى.

كما أصدر مجلس السلم العراقي بيانا، كان مما جاء فيه:

«.. ان حركة السلم في الجمهورية العراقية في الوقت الذي تثمن فيه جهود الراحل الكريم وكفاحه في سبيل السلم والتحرر الوطني، تفخر بأنه كان رائدها ورئيسها الروحي».

والسياسي.

شعارات الحرية.. الخبز.. الماشطة

وكان الشيخ الماشطة في عام ١٩٥٤ مرشحا للقوى الوطنية في الحلة لخوض الانتخابات البرلمانية، فنطقت الجدران فخرا باسمه وببرنامجه، وبقيت شوارع محلة «المهدية» لسنوات تحمل شعارات» من يريد الأرض والعمل والثقافة والصحة فلينتخب الشيخ عبد الكريم الماشطة «. كذلك لا تنسى الجماهير دور الماشطة

الشيخ الماشطة .. اضواء على مسيرته الفكرية والسياسية

حامد كعيد الجبوري

صدر عن الدار العربية للطباعة والنشر كتاب (الشيخ عبد الكريم الماشطة أحد رواد التنوير في العراق) ، بقلم الباحث الأستاذ أحمد الناجي ، ويقع الكتاب ب ١٥٧ صفحة من الحجم الكبير ، وبورق أبيض صقيل ، صمم الغلاف د فاخر محمد .

مقدمة الكتاب بقلم د رشيد الخيون ، وحقيقة أن هذه المقدمة تغني القارئ عن الغاية التي توخاها الباحث الناجي من هذا الكتاب ، يقول الدكتور خيون (كم كان وعي شيخنا متقدما مقاربة مع أوضاع العراق آنذاك ، الأربعينات ، أن يأخذ عالم ديني عراقي على عاتقه مسؤولية النضال من أجل السلم ، وسط محرمات لا عد ولا حصر لها ، قد تحرمه من الأتباع والمريدين ، وربما جعلته قائما وحيدا في محراب الصلاة ، من هنا يقاس تفوق هذا الرجل ، وتجاوزه للمألوف والمحذور أن يقف بين شباب وشيبة ، نساء وعمال وطلبة ، يلقي على أسماعهم الكلمات التالية : أرجو لكم من الله التوفيق في أعمالكم ، وأن يمكنكم من خدمة أبناء النوع الإنساني عامة ، ولا بد أن تحبوا الله ، وتحبوا عباد الله ، لأن من يحب الله يحب آثاره ، والله تعالى يباهي بكم الملائكة على معاونتكم لإخوانكم ، واهتمامكم بردع الحروب ، وتخليص البشرية من ويلات القنابل الذرية والهيدروجينية) ، ويلخص الشيخ عبد الكريم الماشطة الإسلام كما يرى د رشيد الخيون (رابطا إسلامه بالسلام وبإطلاق حمامة السلام من بين يديه في قاعة المؤتمر) ، وينهي الدكتور الخيون قائلا (أجد بين عمامة عبد الكريم الماشطة والعمائم التي تصدر فتاوى الموت وتتقدم للتحريض على الحروب ، هو الفارق بين الغرابين والحمائم البيض) .

قسم الباحث أحمد الناجي كتابه لتسعة فصول ، سنأخذ من كل فصل لمحات لنضئ بها عرض هذا الكتاب القيم .

الفصل الاول / السيرة الذاتية :

هو عبد الكريم بن الحاج عبد الرضا بن الحاج حسين بن الحاج محسن الماشطة ، ولد عام ١٨٨١ م في أحد بيوتات محلة جبران زقاق (الجيابيل) في الحلة الفيحاء .

الفصل الثاني / في الفكر والسياسة :

كان والده من الشخصيات الوطنية التي طالبت بالدستور ، (وسعت الى تنظيم نفسها منذ بدايات القرن العشرين لتحقيق ما جاء به على أرض الواقع ، وامتدت طموحاتهم الكبيرة الى إزالة الوضع الاستبدادي القائم ، وتحسين أحوال الناس الاجتماعية والمعيشية ، وتماشيا مع تلك التوجهات قام مجموعة من مفكري الحلة بتشكيل جمعية سرية تكون فرعا لجمعية الاتحاد والترقي) ، لذا نجد أن الشيخ الماشطة حسم أمره مبكرا كما يقول الباحث الناجي صوب التحرر والتجديد ، بدأ الشيخ الماشطة تعليمه بكتاتيب الحلة وبرغبة من والده شد رحاله الى النجف الأشرف فأكمل المقرر من دروسه في النحو والبلاغة والمنطق والفقه وأصوله ، فحاز على ناصية وزمام أمره ، ومما يميز النجف أنها تستقبل كل الاتجاهات المضادة والمتطابقة لدراستها وتحليلها ومنهجتها ، فتتبع الرجل الأصالة وتقصى النظريات الفلسفية للكون والحياة ، وحين هبت رياح التجديد ارتبط بالفكر التنويري ، ممثلا بأفكار رفاعة الطهطاوي ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وكان الشيخ الماشطة أحد طلاب الحوزة الدينية المدافعون عن الدستور متأثرا بفكر وسيرة والده ، وتطورت مداركه بعدما أدرك بوعي أهمية الجدل والتأمل في فضاء المعرفة ، والوصول لإجابات العقل المقلقة وأفضت به الى مخاض وعي مكنه من أجتراح جملة من متبنيات فكرية وسياسية ، وهذا ما أورده الباحث وأكد على أن الشيخ الماشطة بقي أمينا لمنهجيته الدينية والتمسك بآراء أساتذته ، ولم يتوقف الشيخ الماشطة عن البحث والتقصي والقراءة حتى بعد أكماله مقررات دروسه الحوزوية وامتدت سني دراسته مستكملا لها في حلقات دراسية فقهية حلية .

الفصل الثالث / النشاط السياسي والاجتماعي :

ما مر على العراق عموما وعلى الحلة الفيحاء خاصة لم يكن الشيخ الماشطة ببعيد عنها ، كل خفايا الاحتلال البريطاني ١٩١٤ – ١٩١٨ م وأحداث معارك الشعيبه عام ١٩١٥ م ، والأحداث المروعة التي مرت بها الحلة أواخر العهد العثماني في (دكة عاكف) ١٩١٦ م ، وأساليب دعم حركة الجهاد كل ذلك بلوّر حياة وسيرة الشيخ الماشطة ، و (تبلورت صور المشهد السياسي في ذهن الشيخ الماشطة المتابع لتفاصيل الأحداث ، لتنعكس انطباعاته ومعها فيض مما أنغرس في أغوار الذاكرة من بذرات الخراساني والنائيني ، متناظرة مع بصيرته الثاقبة للعديد من الأحداث المهمة المتزامنة مع تأسيس الدولة العراقية بداية عشرينات القرن الماضي التي ساهمت بفتح نوافذ على الحياة السياسية) ، وخاض الشيخ الماشطة الانتخابات النيابية عام ١٩٥٤ م متحالفا مع تكوينات الجبهة الوطنية التي ضمت تحت لواءها الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال ، والحزب الشيوعي العراقي وحركة أنصار السلام ، ومنظمات الطلاب والشباب ، والنقابات المهنية ، والعمالية ، وممثلي الفلاحين ، وبسبب كل هذه النشاطات والتجمعات والمحاضرات فقد ضيّق على الشيخ الماشطة ومما يذكر قيادته لتظاهرة انتخابية عام ١٩٥٤ م ولما أرادت قوى الأمن تفريق التظاهرة خاطبهم الماشطة (مالكم قلقون اعتبروها زفة عرس) ، وتمادى الشرطة أكثر وحالوا لتفريق التظاهرة وألقى القبض على قسما من منظميها وسلم الشيخ من ذلك ولكنه أحيل لمحاكمة جزائية تطوع (٣٦) محاميا للدفاع عنه ، وعلى رأسهم المحامي الأستاذ (حسين جميل) ، و (مظهر العزاوي) ، و (توفيق منير) ، وردّ القاضي (فريد فتيان) الدعوى وبرأ ساحته وعد الحاكم التدخل الأمني استفزازا للمتظاهرين ، وبعد شهرين ألقي القبض على الشيخ وأحيل الى بغداد وبرأ أيضا ، كان الشيخ من الكتاب والصحفيين الوطنيين الذين لم تسخر أقلامهم إلا لمصلحة شعبهم وتطلعاته ، بعد التغيير الوطني عام ١٩٥٨ م نشر الشيخ الماشطة مقالاته في كبريات الصحف العراقية آنذاك ، (اتحاد الشعب) ، و (صوت الأحرار) .

الفصل الرابع / مجلة العدل ومقالاتها :

أصدر الشيخ الماشطة من مجلته (العدل) عددا واحدا في آذار عام ١٩٣٨ م ، طبع في المطبعة العصرية في الحلة الفيحاء ، وقد صادرته السلطة قبل توزيعه ، وألغت امتياز المجلة ، وهنا رأي للدكتور علي جواد الطاهر الذي لم يخف مشاعر الفرح والغبطة بهذا الإصدار الذي لم ير النور حينما سؤل فأجاب ، (الشيخ عبد الكريم الماشطة وجه وطني جريئ وقد أصدر مجلة باسم (العدل) والاسم ذو دلالة فرحنا بها وأبهجنا ما وراء حروفها من حس انتقادي للأوضاع ، كان الشيخ ينفذ الى غايته من عنوانات بدايات لا تبدو لها علاقة بقصده ، وكان طبيعيا أن يصادر العدد ويمنع الشيخ من إصدار عدد ثان) .

الفصل الخامس / الشيخ الماشطة والصوفية :

يقول الباحث الناجي قدم الشيخ الماشطة في سلسلة مقالاته عن الصوفية دراسة مستفيضة متطرقا الى عناصرها وأفكارها ومفاهيمها وموروثها وتأثيرها على المفكرين المسلمين فكشف بذلك عن ثراء معرفي وعمق فكري مكتنز لا ريب من سنين مضنية قضاها في البحث والتقصي عن ينابيع معرفية نقلت الفكر الى حالة من الانفتاح العقلي والانطلاق بعيدا عن متاهات الجدل الدائر لسنين طوال بين الجبر والاختيار ، والأشعرية والمعتزلة .

الفصل السادس / حركة أنصار السلام :

للحاجة الإنسانية للسلام وتجنبا للكوارث والحروب وهدر الطاقات فقد عقد مؤتمرا عالميا في (بولونيا) ، حضره المثقفون من سائر بقاع الدنيا كرسل للسلام العالمي عام ١٩٤٨ م ، ومما يذكر ان شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري كان من الحاضرين لهذا المؤتمر العالمي ، واختير الجواهري ليكون عضو المؤتمر الأول الذي عقد عام ١٩٥٠ م ، ولم يكن الشيخ الماشطة ببعيد عن هذا المؤتمر فقد لبى الدعوى لمناصرة (نداء أستوكهولم) الصادر من مؤتمر السلام العالمي في ١٩ / آذار / ١٩٥٠ م لتحريم القنبلة الذرية، ولبى الدعوة أيضا شخصيات سياسية عراقية أخرى ، ويعد الشيخ الماشطة رجل الدين الأول الذي لبى نداء السلم ووقع على بنوده الخمسة الصادرة عن اجتماع أستوكهولم ، وبذلك يعد مطلع عام ١٩٥٠ بداية تأسيس حركة أنصار السلام في العراق ، وبعد تنامي هذه الحركة التي استقطبت وطنيّ العراق وبدأت الأجهزة الأمنية متابعة نشاطات هذا التجمع العالمي الجديد ، وأعتقل الكثير ممن انتمى لهذا التجمع بذريعة عدم أجازة هذا التجمع رسميا ، ومن هؤلاء شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم ، ولقد أسهم الكثير من المثقفين العراقيين بإثارة طريق هذا التجمع من خلال القصائد التي صدح بها شاعر العرب محمد مهدي الجواهري وعبد الله كوران ، ومما يذكره الناجي أحمد الناجي بكتابه موضوع عرضنا قصيدة (أمي والسلام) للمناضل (حسن عوينه) ،

أماه رهط الظالمين تآمرا
ليشن حربا غادرا وتآزرا
تطوى الشباب على الشيوخ وللدم
الزاكي الطهور ترين بحرا زاخرا
والأرض تزرع بالضحايا إن
ذكت ويبدل الروض الخصيب مقابرا

الفصل السابع / الاتهام بالشيوعية :

ربما – وهذا رأيي الشخصي – أن الباحث الناجي لم يعطي هذا الفصل مما يستحق من تسليط ضوء ، ورأي مبلور ، لا لكون الباحث غافلا عن خطورة هذا المبحث لأسباب كثيرة جدا ، ومن أهمها أن من يركب موجة الدين سفاها ، ليغوي بها السذج ويعتاش على تخلفهم ، قد يتقاطع كليا مع الشيخ الماشطة الذي أوجد لذاته فلسفة أستمدها من بطون كتب غيبت تماما ليبقى الكم الهائل من البشر متخندقون ومتترسون وراء حجب لا يعرفون لها خلاصا ، لذا صدرت الفتاوي التي حرمت الانتماء لأحزاب تناضل من أجل رفعة البشر وخيره ، ويجد الدعاة الى الإسلام من هذه الشريحة الديمقراطية حراما ولا يؤمنون بها ولكنهم يؤمنون بأليتها التي أوصلتهم لمآرب خاصة ، وينسب للكثير من هؤلاء مقولتهم أن كانت الديمقراطية تعني حكم الشعب فذلك خلاف التشريع الذي وكلنا به من قبل الله ، بمعنى أدق نحن ولاة أمور الناس بتكليفنا الشرعي الإلهي ، وهذا ما أستنتج خلافه الشيخ الماشطة ، ولكونه قريبا الى اليساريين والليبراليين والشيوعيين وحتى القوميين ، لذا حورب هذا الشيخ الجليل لصدق سريرته مع ذاته ، ومع الله ، وأتهم بالشيوعية لتقارب آرائه مع فكرهم .

الفصل الثامن / آثاره :

للشيخ الماشطة مؤلفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة ، ومقالات لا تحصى نشرت بالصحف العراقية ، وأهم ما يذكر في هذا الباب كتابه الذي ذكره الأستاذ كوركيس عواد في (معجم المؤلفين العراقيين) ، ويؤكده الأستاذ حميد المطبعي في (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين) ، وعنوان كتاب الشيخ الماشطة (الشيوعية لا تتصادم مع الدين ولا مع القومية العربية) ، ولا أعرف لم لا يؤيد الباحث الناجي وجود مثل هذا الكتاب ، مستدلا على عدم وجوده بين يديه ، أو لم يسمع به من أحد غيره ، ولعمري هذا يخالف النهج البحثي ، وإلا ما كان (كوركيس عواد) ، ولا (حميد المطبعي) يذكرون وجود مثل هذا الكتاب ، وأقول الى الصديق الباحث الناجي ترى أيمكن أن نجد مثل هذا الكتاب وبتلك الفترة من الحكم الشمولي ، وبعد صدور فتاوى تقول (الشيوعية كفر وألحاد) ، نجد من يقرأ أو يحتفظ بهذا الكتاب ، ومن خلال هذه المنابر الحرة أقول لابد وأن تكن هناك نسخة واحدة على الأقل موجودة في بطون مكتباتنا البيتية العامرة ، فأدعو راجيا ومرتجيا ، ممن يملك هذا النسخة أن يحاول أن يقدمها هدية لأي مطبعة وطنية تقدمية لأحياء تراث هذا الرجل الإنسان .

الفصل التاسع / وفاته :

أصيب شيخنا الجليل الماشطة بمرض عجز القلب بداية عام ١٩٥٩ م وغادر الى الإتحاد السوفيتي آنذاك لتلقي العلاج ، ولم يمكث طويلا في موسكو وعاد الى مستشفيات بغداد وتوفي فيها في ٣ أيلول عام ١٩٥٩ م ، ونقل جثمانه الى الحلة الفيحاء ومنها شيّع لمثواه الأخير النجف الأشرف ، وأقيمت له أكثر من مجلس فاتحة أو أربعينية في مختلف المحافظات العراقية ، وكذا خارج العراق (موسكو – صوفيا – برلين – بودابست) ، ونعاه المكتب الدائم للمجلس الوطني لأنصار السلم في الجمهورية العراقية ببيان تحت عنوان (ذكرى الأربعين لوفاة سماحة العلامة الكبير الشيخ عبد الكريم الماشطة فقيد حركة السلم العراقية والعالمية) .

رأي :

الكتاب (الشيخ عبد الكريم الماشطة أحد رموز التنوير في العراق) ،

كتاب قيم بذل الباحث احمد الناجي لأجله وقتا مضنيا وفتح الباب واسعا للباحثين بفكر هذا الرجل – الماشطة – ، طبع الكتاب عام ٢٠٠٦ م ، ومن المؤكد أن الباحث قد وردله من أصدقائه ملاحظات ، وإضافات جديدة ، ومعلومات تستحق أن تنشر ، ويشار لها ، أتمنى على الصديق الباحث أعادة النظر جديا بما تمنيت عليه ، وأن يترك الدعوة التي وضعها بداية الكتاب ، متمنيا على الباحثين والمؤرخين لينهضوا بأعباء دراسة هذا الشيخ منهجيا ، فأنت يا صديقي أحق بالبحث المنهجي لما تمتلكه من خبرة واسعة ، وشهادة تؤهلك لخوض هذا المضمار .

الشيخ عبد الكريم الماشطة: مصباح علمٍ وتنوير في ظلمات الركود

محمد علي محيي الدين

في ذاكرة الحلة الفيحاء، حيث تعانق الروح ضفاف الفرات، وتتعانق المنائر بأصداء العقول النيّرة، يسطع اسم الشيخ عبد الكريم الماشطة كواحد من أعلام النور، وعنوان لجيلٍ من العلماء الذين لم ينقطعوا عند حدود المدارس والمحراب، بل مدّوا ظلّهم إلى مساحات المجتمع والفكر والنضال الإصلاحي.

وُلد الشيخ الماشطة عام ١٨٨١، في مدينة تجذّرت في حضارتها أصول المعرفة، وتفتّحت فيّ دروبها شذى المجالس العلمية وروح الإصلاح. نشأ في بيت تحفّه الثقافة الدينية، وترعرعه القيم النبيلة. ومنذ نعومة أظفاره، بدا كأن بينه وبين الكتب عهدًا سرمديًا لا يفتر، ولا تنفصم عراه. كان الفتى الذي يجالس العلماء في حلقات الدرس، ويحتضن الكتب كمن يحتضن قدره. ولئن سكن صوته الصبياني حينذاك، فإن صوته العلمي كان يشق دربًا ناصعًا إلى المستقبل.

كبر الشيخ، وكبرت معه هواجسه الفكرية، وأشرعت له أبواب العلم الشرعي، فأمعن في دراسة القرآن الكريم، وطرق أبواب الحديث الشريف، وتعمق في الفقه والسيرة، إلى أن غدا منارة يهتدي بها طلاب العلم، ومنبرًا يخاطب من خلاله وجدان الأمة وعقلها في آنٍ واحد.

لكن الشيخ عبد الكريم لم يكن رجل منبر فحسب، بل كان قلبًا نابضًا بقضايا الناس، وأذنًا تصغي لآهاتهم، ولسانًا ينطق بهمومهم في زمن كانت الكلمة فيه مغامرة. فبالتوازي مع رسالته العلمية، شق طريقه في الإصلاح، ساعيًا إلى إحياء القيم الإسلامية الأصيلة في النفوس، متصديًا لمظاهر التجهيل والتعصب والانغلاق. لم يكن يرضى أن يُحاصَر الدين بين جدران المساجد، بل أراده فاعلًا في سلوك الناس، منسجمًا مع حاجاتهم، مرشدًا لهم في معاملاتهم، كما في عباداتهم.

درّس الشيخ في المساجد والمدارس، واحتفى به طلبته لما عُرف عنه من تواضع العالم، وشفافية المعلم، وصدق الإنسان. بأسلوبه الرقيق، وبيانه السهل الممتنع، كان يكسو المفاهيم العميقة أثوابًا من الوضوح، تجعل أعقد المسائل يسيرة الفهم، وعميقة الأثر. ولم يكن التفاف الناس حوله من باب العلم وحده، بل لأنهم وجدوا فيه أبًا روحيًا، وصوتًا يعبر عنهم.

ولعل إحدى المحطات المضيئة في سيرته، هي سعيه لرفع الوعي المجتمعي. فإلى جانب اهتمامه بالشباب والطلاب، كان الشيخ عبد الكريم يخصّ كبار السن وعامّة الناس بجزء من جهده، فيقيم الندوات والمحاضرات، ويجوب بحديثه أزقّة الحلة، حاملاً رسالة العلم والتنوير، لا يبغي بها وجاهة، ولا منصبًا، بل رضى الله ورضى الضمير.

لم يكن غريبًا، إذن، أن يتحوّل الشيخ إلى رمز اجتماعي، وإلى حامل لواء التغيير في مدينة عريقة. فقد سعى إلى التخفيف عن الفقراء، واحتضان الأيتام، وتأسيس مشاريع تعليمية وخيرية تخدم أبناء المناطق المهمّشة. وكان يرى في العلم مسؤولية اجتماعية، لا تكتمل إلا إذا غدت شمسه مشرقة في بيوت الجميع.

وحين اقتضى المقام أن يُدلي بصوته في ميدان العمل السياسي والفكري، لم يتردد الشيخ. فساهم في تأسيس حزب الشعب سنة ١٩٤٦ في الحلة، وشارك في حركة أنصار السلام، وكان عضوًا في مؤتمرها التأسيسي، متحديًا سياسات التكميم والملاحقة. كتب في الصحف والمجلات، ولم يكتفِ بنقل المعرفة، بل كان صانعها، فأسهم في جرائد مثل الفيحاء، حمورابي، الحكمة، العدل، وصوت الفرات، إلى جانب المطبوعات البغدادية مثل الوطن ولواء الاستقلال واتحاد الشعب. بل وأصدر مجلته الخاصة (العدل)، التي لم ترَ النور إلا عددًا واحدًا في آذار ١٩٣٨، قبل أن تصادرها السلطة وتُلغي امتيازاتها، في مشهد يعكس ضريبة الفكر الحر.

أما مؤلفاته، فهي شواهد حية على عمق فكره وسعة أفقه. من أبرزها: الأحكام الجعفرية في الأصول الشخصية"، طُبع أول مرة في بغداد سنة ١٩٢٣، ثم في القاهرة لاحقًا، وكان مرجعًا فقهيًا موثوقًا.، مبادئ الصوفية وحكمة الإشراق"، وهو عمل روحي وفلسفي، قام بتحقيقه الدكتور سعد الحداد، ليبقى علامة في أدبيات التصوف الإسلامي.

أما مكتبته العامرة، التي كانت تضم نفائس الكتب والمخطوطات، فقد أثرت أسرته أن تهديها إلى مكتبة جامع الخلاني ببغداد، وإلى إحدى المكتبات النجفية، لتظل منارًا لمن أراد أن ينهل من علمه.

رحل الشيخ عبد الكريم الماشطة في عام ١٩٥٩، تاركًا وراءه أثرًا لا يزول، وسيرةً لا تبهت. رجلٌ من طينة العلماء، جمع بين العالم والمصلح، بين القلم والمنبر، بين العقل والضمير. عاش حياته كما يحيا الزاهد العارف، ومات كما يموت الكبار: حاضرًا في ضمائر الناس، غائبًا عن الأجساد فقط.

لقد كان الشيخ الماشطة صورة مشرقة من صور التنوير الإسلامي الحقيقي، حيث لا انفصال بين الدين والحياة، ولا تناقض بين الإيمان والعقل، ولا هوّة بين العالم والناس. ومن أراد أن يرى العلم حين يمتزج بالإصلاح، فلينظر في صفحات حياته، ففيها عبرة لكل من يسعى لخير هذه الأمة.

وأفضل من ألم بسيرته ومسيرته الباحث الجاد أحمد الناجي في كتابه الشيخ عبد الكريم الماشطة أحد رواد التنوير في العراق، الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠١٩.

الشيخ عبد الكريم الماشطة أحد رواد التنوير في العراق

شميران مروكل

ان مجموع ما كتب عن الشيخ الماشطة في حقبة طويلة من تاريخ العراق المعاصر هو فقط عدد من الدراسات والمقالات قد لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة والسبب يعود الى خطابه النابع من صميم الواقع الذي ناجى به وجدان الانسان وحرض على تحرير طاقاته الكامنة وفي ذلك تماس واضح مع الاشياء المنسية والمهدورة التي مثلت اختراقا للمألوف. تعارضت مواقفه وآراؤه مع الحكومات والسائد من الفكر بشكل وأخر، ولم يأل جهدا في مواجهة اعراف التسلط والاستبداد والاستعباد وظل الى جانب الناس مما جعله مصنفا ضمن الممنوعات حتى بعد وفاته.

استوعب الشيخ الماشطة حيثيات حالة التخلف التي تسود مجتمعه ومظاهر القبلية والعشائرية والبدوية وأدرك مبكرا ان تقدم المجتمع لا يمكن ان يتم بمعزل عن ضرورات التقدم العالمي وعليه واجه اشكالية القديم والجديد وهذه الإشكالية معركة دائمة التجدد في المجتمع الانساني وبحاجة الى وعي بالتراث والمعاصرة . وقد حسم الشيخ الماشطة بصفته رجل ديني تحديد مساره مبكرا في الاتجاه التحرري والتجديدي ولم تأت افكاره وتصوراته طيلة حياته من مواقع مستقلة عن المسلمات الدينية، بل خاض غمار هذه الطريق الوعر المأى بالمطبات ماسكا بها وبمنهجه الاجتهاد حول الجزئيات. ان مسيرته العملية التي قاربت نصف قرن حافلة بالمواقف الوطنية والمآثر والنشاطات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي سعى من خلالها الى مواجهة التحديات بتوعية الجماهير واستنهاضها في مقارعة معوقات التقدم للتخلص من موروثات القرون الاستبدادية : الفقر والمرض والجهل والتخلف وتحقيق طموحاتها في الاستقلال والحرية والتقدم والازدهار.

كان للشيخ اجتهاده الشخصي بقضية التعليم الحديث في المدارس الرسمية وضرورة العمل على نشره، فلم يتهيب من مخالفة فتاوى التحريم يومئذ حتى وان كانت صادرة من مرجعيات يجلها ويحترمها وسبق ان وقف بجانبها مدافعا عن مواقفها الوطنية فنراه واضحا في منهجه المرتكز على بديهيات التنوير ومنطق كون المعرفة وسيلة للتحرر. فالتعليم بنظره من مقومات نهضة المجتمع. مدركا ضرورته في التقدم الاجتماعي. انتصر بكل جرأة لقضية تعليم المرأة وعبر عن ضرورة تمكينها من ابراز طاقاتها واداء دورها في بناء المجتمع وقد جسد قناعاته بتلك الافكار والرؤى واقعا ملموسا على حياته الشخصية حين دخل ابناؤه الى المدارس الرسمية منذ بداية تأسيسها في وقت كان لتلك الفتاوى سطوة كبيرة على المجتمع العراقي.

عززت الأزمة الاقتصادية التي حاقت بالنظام الرأسمالي العالمي (١٩٢٩، ١٩٣٣) من افكار الشيخ الماشطة الوطنية بما خلفته من انعكاسات على الاقتصاد العراقي ووضحت معطيات هذه الازمة ما كان خافيا من ارتباط وثيق بين الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي وكان لجرياتها تأثيرات اسهمت في تعميق مواقف الشيخ الماشطة الوطنية وآرائه ومبادئه المناهضة لسياسة الحكومات المتعاقبة المرتبطة مع الاستعمار البريطاني. ولم يكن بعيدا عن مشاورات واجواء تأسيس حزب الشعب في بغداد وقد حفلت الاجواء في منتصف الاربعينيات بنوع من الانفتاح على القوى والاحزاب السياسية وتحقق اثر ذلك هامش من الحريات كانت متنفسا للعمل السياسي وقد اجيزت خمسة احزاب ارتبط الشيخ الماشطة بعلاقات ودية مع قادة وعناصر هذه الاحزاب في الحلة مسهما بدور مميز خلال انتعاش الحياة السياسية في تلك الفترة من خلال الانشطة والفعاليات وتقريب وجهات النظر وتطويق الاختلافات فيما بين الاحزاب والقوى والشخصيات الوطنية على مختلف توجهاتها وتلك العلاقة كانت ممتدة ايضا مع الاحزاب السرية غير المجازة كحزب التحرر الوطني والحزب الشيوعي. توجت العناصر الوطنية والتقدمية بالحلة نشاطاتها في تلك الفترة بنجاح اول اضراب عمالي منظم للمطالبة بتحديد ساعات العمل والتعطيل يوم الجمعة وفيما بعد بدأت الاوضاع السياسية بالتدهور وقد مثلت تلك الفترة القصيرة فسحة للقوى والاحزاب والشخصيات السياسية الوطنية وحراكا شعبيا بلور الموقف الوطني لابناء الشعب العراقي فيما بعد بوثبة كانون ١٩٤٨ وتصديهم لتوجهات السلطة الرامية الى توقيع معاهدة برتسموث وكان لمجلس الشيخ الماشطة في احداث الوثبة وافكاره الداعمة موقف مشهود ودور فاعل في مساندة انشطة الوطنيين والتقدميين، اعقب احداث الوثبة اعتقالات واسعة في مدينة الحلة بين صفوف الشباب من الوطنيين والتقدميين واعتقل في مطلع الخمسينيات الاستاذ محمد علي وهو احد ابناء الشيخ الماشطة وابن شقيقه الاستاذ عبدالله بن الحاج عبد الوهاب وكانا من ضمن الذين احيلوا الى المحاكم العرفية ومكثا ثلاث سنوات في سجن نقرة السلمان. واستجابة لضرورات العمل الوطني وبناء قاعدة حركة انصار السلم سعى الشيخ الماشطة الى اصدار جريدة صوت الفرات بالحلة مطلع سنة ١٩٥٣ كما خاض الانتخابات النيابية سنة ١٩٥٤ متحالفا مع تكوينات الجبهة الوطنية التي تم توقيع ميثاقها في ١٢ ايار ١٩٥٤ وكانت مطالبها تتضمن اطلاق الحريات والغاء معاهدة ١٩٣٠ وكل امتيازات الشركات الاجنبية ورفض المساعدات الامريكية العسكرية. لم يفز الشيخ الماشطة في الانتخابات الا ان الاجهزة الامنية شددت الرقابة عليه وبقيت مهتمة بتتبع نشاطاته وقد اوكلت مهمة ملازمته الى احد رجال الامن حيث كان يجلس على عتبة خان امام بيته لا يبرحها راصدا حركة الشيخ والداخلين اليه وللشيخ مع هذا الرجل طرائف ونوادر كثيرة تعكس تعامله الانساني وسعة قلبه الرحيم ولعلها جعلت من رقيبه في النهاية مأسورا اليه لا يتوانى عن تقديم الاحترام والطاعة وحتى المساعدة باداء بعض المتطلبات.

في غمار الكفاح الوطني

تأججت الروح الوطنية عند الحليين لمناصرة الشعب المصري وتجلى ذلك بتأييد قرار تأميم قناة السويس والتنديد بالعدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ حيث خرجت للتظاهر بعض المجاميع من الطلبة والوطنيين بمدينة الحلة على الرغم من اجراءات الاجهزة الامنية التي اتبعتها للحيلولة دون خروجها وما صاحبها من اساليب القمع والتنكيل والاعتقالات ولم يكن الشيخ عبد الكريم الماشطة بعيدا عن تلك الاجواء ولا عن نوايا الحكومة ومحاولاتها الرامية الى عقد حلف بغداد لكي يحل محل المعاهدة مع بريطانيا التي عقدت سنة ١٩٣٠ وقاربت على الانتهاء بعدما ان افشل الشعب العراقي اعادة الحياة لها في انتفاضته بوثبة كانون ١٩٤٨ بل كان في غمرة احداثها التي بلورت ضرورات قيام جبهة الاتحاد الوطني مطلع شباط ١٩٥٧ التي اسهمت بتكوين الارضية الاجتماعية والسياسية المهدة لقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حيث ساند تشكيل فرعها بمدينة الحلة منتدبا الى عضوية لجنتها الرئيسة اخلص المقربين اليه الشخصية الحلية الوطنية المعروفة وعضو المؤتمر التأسيسي لحركة انصار السلم الحاج عبد اللطيف الحاج محمد مطلب ممثلا عن المستقلين ، وجرى توزيع بيان جبهة الاتحاد الوطني الاول الذي صدر في ٩ اذار ١٩٥٧ واعقب ذلك وصول ممثل اللجنة العليا الدكتور صفاء الحافظ ليشرف على تكوين فرع الجبهة في لواء الحلة. وبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقف الشيخ الماشطة بثقل مكانته الاجتماعية وثرائه الفكري وانشطته السياسية مدافعا عن ثورة الفقراء التي انجزت اكثر مما اعلنت وفعلت اكثر مما قالت في ظل اجواء مليئة بالتناقضات والتعقيدات مسهما بنشاطات حركة انصار السلم اذ كان من ضمن تشكيلة المجلس الوطني لأنصار السلم في العراق ونشر مقالاته في بعض الصحف البغدادية مثل صوت الاحرار واتحاد الشعب هادفا الى صيانة الجمهورية الفتية ومعبرا عن افكاره ورؤاه وما يحلم به من امال وتطلعات ومخاوف مشروعة ستلاحق هذا الحلم الحقيقة، ناظرا في الافق بوادر المخاطر التي تحف بالثورة من كل الاركان وما ينسج في الخفاء لخنقها. فسعى مع بعض علماء الدين الى تشكيل جملعة علماء الدين الاحرار وكانت استجابة وطنية لضرورات المرحلة تناخى لها عدد من علماء ورجال الدين للوقوف بالضد من المخططات الخارجية التي استطاعت استغلال الاختلافات الداخلية لصالحها موظفة قوى الداخل لمصلحتها فوقفوا بجانب الشعب وقواه الوطنية والتقدمية من اجل الحفاظ على مكتسبات ثورة الفقراء والكادحين وتحملوا لاجل ذلك الكثير من الهجمات سواء على صفحات الجرائد او في المحافل العامة.

لقد شدد الشيخ الماشطة في كتاباته على الحريات المدنية ومبادئ الديمقراطية وحقوق المواطنة والعدل والمساواة ونادى باعلاء شأن العقل وهذه الموضوعة تقوم في المقام الاول على اسبقية العقل وتقديمه على النص فهي بداهة تنتهي الى العلمانية وخاض شيخنا غمار مهمة التعليم النبيلة ولكنه ليس على الطريقة التقليدية السائدة، بل اهتم بتدريس الفلسفة بوصفها ام العلوم الاجتماعية ذلك لأنها محرضة على انفتاح العقل والتفكير النقدي ومحفزة على الابداع والابتكار. وكان نقد الاستبداد موضوعة رئيسة في كتابات الشيخ الماشطة هذا بالاضافة الى النظر في شؤون السياسة احداثا وشخصيات كما تناول احوال الناس وشجونهم فوقف ضد الاستغلال والظلم الاجتماعي وقام بنقد الاداء الوظيفي وادارات مؤسسات الدولة لا سيما المؤسسات التربوية والتعليمية والصحية. وايضا تبدت النزعة التقدمية في فكر الشيخ من خلال استيعاب حيثيات حالة التخلف التي كانت تسود مجتمعه وقد ادرك مبكرا ان تقدم المجتمع لا يمكن ان يتم بمعزل عن مجريات التقدم العالمي وعليه واجه اشكالية القديم والجديد او التراث والمعاصرة.

عاش الشيخ الماشطة حياته مغامرا في رحلة مضنية سار فيها على جمر التحديات لا احد ينكر دوره في تعزيز دائرة العقلانية والتنوير في محيطه الاجتماعي وقد كان مدركا لأهوال المعاناة ومستعدا للتضحية في سبيل موقفه التقدمي ولكنه في الاخير مضى وبقي اسمه مثلما بقي عداء الرجعيين له مستعرا وربما حتى الآن

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون
فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق
يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:
www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net
طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

الماشطة وحركة التنوير في العراق

د. رشيد الخيون

ظل اسم الشيخ عبد الكريم الماشطة (ت ١٩٥٩) متداولا على شفاه التواقين الى السلم والانسانية من العراقيين، واشراف العالم من الذين عرفوه زميلا لهم في مجلس السلم العالمي، يذكره كل سجين بسبب آرائه الفكرية والسياسية، وكل عدو للحروب، تلك التسمية التي حاولت السلطات المتعاقبة على العراق ربطها بالشأن الحزبي، وبداهة يتهم نصير السلم بالانتماء الى الحزب الشيوعي العراقي، وهذا لم يسلم منه شيخنا الجليل. كان هدف نصرة السلم، التي مارسها الشيخ الماشطة، وقاية البشرية من حرب ذرية او نووية مرتقبة، بعد ان اخذت الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية بالتعبئة الذرية، وتتنافس على امتلاك رؤوس هذا السلاح المدمر، فكم كان الشيخ عبد الكريم الماشطة واعياً وشاعراً بالخطر على البشرية جمعاء، ابيضها واسودها، ابعد افقاً من حدود بلدته الحلة، ووطنه العراق، وقوميته، وديانته، ومذهبه، عندما قبل بعضوية مجلس السلم العالمي، جنباً الى جنب مع الفنان بيكاسو، وعالمة الفيزياء ارينا كوري، ويعانقه في هذا الشعور والانتماء الشاعر محمد مهدي الجواهري. ومات الشيخ متوشحاً الوسام الذهبي، منحه اياه مجلس السلم العالمي بذكرى تأسيسه العاشرة.

كم كان وعي شيخنا متقدماً، مقاربة مع اوضاع العراق آنذاك، الاربعينيات، ان يأخذ عالم ديني عراقي على عاتقه مسؤولية النضال من اجل السلم، وسط محرمات لا عد ولا حصر لها قد تحرمه من الاتباع ومن المريدين، وربما جعلته قائماً وحيداً في محراب الصلاة، من هنا يقاس تفوق هذا الرجل، وتجاوز للمألوف والمحذور ان يقف بين شباب وشيبة، نساء وعمال وطلبة، يلقي على اسماعهم الكلمات التالية: ((السلام عليكم يا من تحبون الخير للإنسانية عامة، ولبلادكم خاصة. ارجو لكم من الله التوفيق في اعمالكم، وان يمكنكم من خدمة ابناء النوع الانساني عامة، ولابد ان تحبوا الله وتحبوا عباد الله، لأن من يحب الله يحب اثاره، والله تعالى يباهي بكم الملائكة على معاونتكم لإخوانكم واهتمامك بردع الحروب، وتخليص البشرية من ويلات القنابل الذرية والهيدروجينية)).

بهذه الكلمات لخص الشيخ الماشطة رسالة الاسلام، رابطاً اسلامه بالسلام، وبإطلاق حمامة السلام من بين يديه في قاعة المؤتمر اعاد ذاكرة البشرية الى طريق سفينة نوح، والبشارة بيابسة خضراء خالية من الوحش النووي. تحتاج مثل هذه الممارسة الى فكر متنور، وشجاعة يتحمل صاحبها اعباء ما يعنيه إطلاق حمامة، ورفع شعار انساني، والدعاء لحفظ

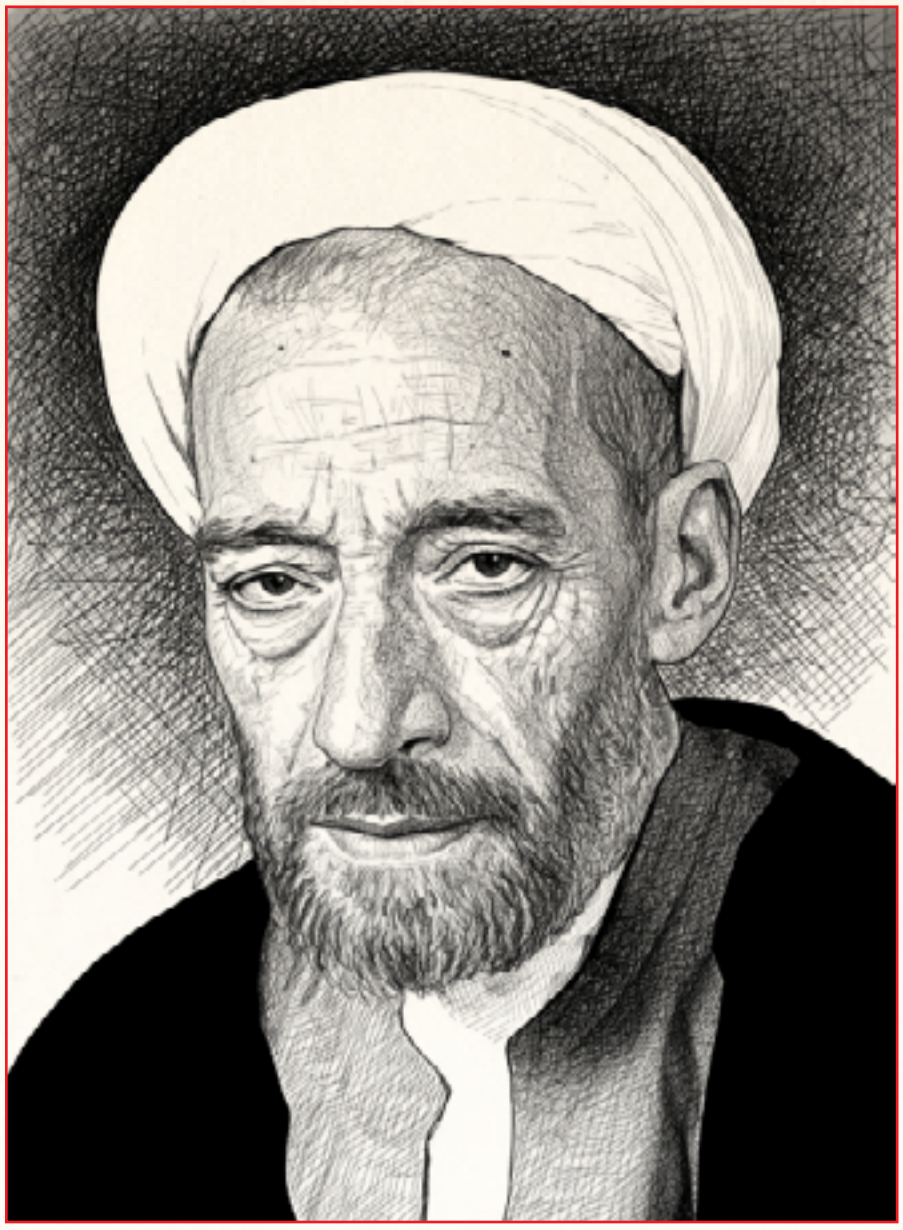

الجنس البشري، قبل التفكير بمحدودية الانتساب لهذا الدين، او ذلك المذهب، او العرق القومي أجد بين عمامة عبد الكريم الماشطة والعمائم التي تصدر فتاوى الموت، وتتقدم للتحريض على الحروب، هو الفارق بين الغرابين السود والحمائم البيض.

مؤلف كتاب «الشيخ عبد الكريم الماشطة..» احمد الناجي مثقف حلي، بلغ الخمسين من العمر وهو يعيش ذكريات ليس فيها ما يفرح غير صدى مشاكسة القسوة، وجد في بلدته الحلة ما يفخر ويسر به، وما يستحق الكتابة والتوثيق. والمدينة بنواحيها سليلة حضارة بابل، استلهم على ارضها حمورابي شريعته، وظلت في ذاكرة الاجيال دار سحر وفن، فاشتهرت بالجنائن المعلقة، من دون ان يراها أحد، واشتهرت ببرج بابل وبلبلة الالسن، وفي عصرها الحلي اشتهرت بثقافتها وادبها وشعرائها.

مات الشيخ الماشطة وعمر كاتب سيرته، احمد الناجي، أربع سنوات لا غيرها، لم يحضر مجالسه، ولم يسمع خطبه، هذا ما فكرت به عندما طلب مني قراءة الكتاب وتسجيل خاطرة بما يشبه المقدمة لكتابه، فاتاني الجواب ان ما نقب الشيخ وصلته عن والده، وعن محيطه. أجد الوفاء طافحا على عمل احمد الناجي، وواضح من نصوص الكتاب وهوامشه ان المؤلف قام ببحث معلوماتي ميداني، معلومة من قريب للشيخ، واخرى من زميل له في مجلس السلم، ولم يترك شاردة وواردة استطاع الوصول اليها.

اقول ان ما قام به احمد الناجي كان عملا تأسيسياً حول شخصية قد يتحرج الكثيرون من الكتابة عنها، فالشيخ لطبيعة تجاوزه على المألوف والسائد لم تحتضن ذكراه مؤسسة دينية، ولا سلطة، في حين غاب محبوه في السجون والمعتقلات، وتاهوا في المنافي وديار الهجرة. ولم يسمح إلا للأكاذيب تأخذ طريقها الى الصحافة والتأليف. كنت أحد التواقين للكشف عن اسرار تلك الشخصية، التي بهرتني لكثرة ما تناقلته الشفاه من مأثره وجرأته، فكان بين نارين، نار اترابه من علماء الدين ونار السلطة، فكيف اخترق تلك المحاذر ونادى بالإنسانية، ولم يتحرج من تهمة الشيوعية، ومن مصاحبة الشيوعيين ما داموا من أنصار السلام.

بطبيعة حال النفوس ينسى للشيخ ان يدا له في بناء مسجد وتعمير آخر، ويد اخرى تعين السلام، كونه الجامع بين البشر، ومن اول مهام المسجد. وهنا لم يترك الشيخ قرآنه، فمن آياته: «لا إكراه في الدين»، ومن آياته: «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم». فهل تعترض نصرة السلم للإكراه، او ليست هي منال التعارف بين شعوب الارض؟ كذلك للشيخ في «نهج البلاغة» كتاب امامه علي بن ابي طالب مرجعية كبرى في تراحم وتلاحم البشر ضد القسوة والجور والحروب. قال: الناس «صنفان: إما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق (الانسانية)» (نهج البلاغة، من كتاب الى مالك بن الاشتر، لما ولاه على مصر). وان كان للعلم والفقه اجداد واحفاد فالشيخ عبد الكريم الماشطة في نصرة السلم، والعدالة الانسانية هو حفيد امين لشيخه الحلي الاعلى رضي الدين علي بن طاووس (٦٦٤ هـ) عندما وقف وسط المدرسة المستنصرية ببغداد مفتياً بالقول: «تفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر».

عموما يعد الشيخ الماشطة ظاهرة تنويرية، لا تقل عن ظاهرة ثلاثي التنوير: عبده، والكواكبي، والطهطاوي. ولم تكون آراؤه وممارسته بأقل جرأة من الشيخ الازهري علي عبد الرازق في كتابه «اصول الحكم في الاسلام» (١٩٢٥). وهو لم يتجاوز بتضامنه الانساني، ودعوته للحرية والقانون احد اعلام المرجعية النجفية، الشيخ محمد حسين النائيني في «تنبيه الأمة وتنزيه الملة» (النجف ١٩٠٩)، وقد يأخذنا العجب العجاب اذا قلبنا النظر في احوال المنطقة، وما كانت عليه في مطلع القرن العشرين، وان تصدر فيها مثل تلك الرسالة، التي لم يبق صاحبها اميناً لها، فقد تراجع عنها تحت ضغط التدهور الفكري، العجب من إباحة التأثر بما لدى الشعوب بغض النظر عن الدين والملة في واقع كانت تسوده العشائرية، ولم يسمع اهلوه بمفردة ديمقراطية، او دستور، بل ان اوروبا نفسها كانت تحبو نحوهما، ومازالت تمنع النساء من ممارسة حق الانتخاب اسوة بالرجال.

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

عراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون